لمحاربة الفرنج وكتب الى ولاة الاطراف وقواد الجيوش بالحضور وخرج الى مدينة سلا
ليكون اجتماع العساكر بظاهرها فاتفق انه مرض مرضا شديدا حتى ايس منه اطباؤه
فتوقف الحال عن تدبير ذلك الجيش فحمل الامير يعقوب الى مراكش وطمع المجاورون له من
العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها واغاروا على النواحي والاطراف وكذلك فعل
الادفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالاندلس واقتضا الحال تفرقة جيوش يعقوب شرقا
وغربا واشتغلوا بالمدافعة والممانعة وكثر طمع الادفونش في البلاد وبعث رسولا الى الامير
يعقوب يتهدد ويتوعد ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس وكتب اليه من
انشاء وزير له يعرف بابن الفخار وهي باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على
السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح اما بعد فانه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب
ولا ذي عقل لازب انك امير الملة الحنيفية كما اني امير الملة النصرانية وقد علمت
ما عليه علماء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعية واخلادهم الى الراحة وانا
اسومهم بحكم القهر وجلاء الديار واسبي الذراري وامثل بالرجال ولا عذر لك في
التخلف اذا امكنتك يد القدرة وانتم تزعمون ان الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد
منكم فالآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ونحن الآن نقاتل عشرة بواحد منا لا
تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا وتماطل نفسك عاما بعد عام تقدم رجلا وتوخر
اخرى فلا ادري اكان الجبن ابطا بك ام التكذيب بما وعد بك ثم قيل لا تجد الى
جواز البحر سبيلا لعله لا يسوغ لك التقحم معها وانا اقول لك ما فيه الراحة واعتذر لك
وعنك وعلي ان تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من اهل الرهان وترسل الي جملة من
عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات واجوز بجملتي اليك واقاتلك في اعز
الاماكن اليك ولديك فان كانت لك فغنيمة كبيرة وهدية عظيمة مثلت بين يديك
وان كانت لي كانت يدي العليا واستحقت امارة الملتين والحكم على البرين والله
يوفق للسعادة ويسهل الارادة لا رب غيره ولا خير الا خيره ان شاء الله تعالى فلما
وصل كتابه الى الامير يعقوب مزقه وكتب على ظهر قطعة منه ارجع اليهم فلنأتينهم
بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون الجواب ما ترى لا ما تسمع

ولا كتب الا المشرفية عنده ولا رسل الا الخميس العرمرم

قلت وهذا البيت للمتنبي ثم امر بكتب الاستنفار واستدعاء الجيوش من الامصار وضرب
السرادقات بظاهر البلد من يومه وجمع العساكر وسار الى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر
فيه الى الاندلس وسار الى ان دخل الى بلاد الافرنج وقد اعتدوا واحتشدوا وتاهبوا
فكسرهم كسرة شنيعة وذلك في سنة اثنين وتسعين وخمسماية انتهى ما نقلته من الجزء
المذكور قلت ثم وجدت في كتاب تذكرة العاقل وتنبيه الغافل لابي الحجاج
يوسف بن محمد بن ابرهيم الانصاري البياسي هذه المكاتبة وجعل بها وقد كتبها الادفونش
بن فرذلند الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين الذي ذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى
وجواب يوسف على هذه الصورة ايضا والله اعلم قلت وذكر التناسي بعد هذا

ما يدل على انه نقلها من خط ابن الصيرفي الكاتب المصري فان كان كذلك فما يمكن ان
تكون هذه الرسالة الى يعقوب بن يوسف لان ابن الصيرفي متقدم التاريخ على
زمان يعقوب بكثير والله اعلم ورايت جماعة من فضلاء المغاربة ينكرون
هذا التاريخ ويذكرون ما نشرحه ان شاء الله تعالى وهو ان الفرنج جمعوا جمعا عظيما
وقصدوه وبلغ الامير يعقوب خبر مسيرهم وكثرة جموعهم فما هاله ذلك وجد
في السير نحوهم حتى التقوا في شمالي قرطبة على قرب قلعة رباح في مرج الحديد و
فيه نهر يشقه فعبر الى منزلة الفرنج وصافهم وذلك يوم الخميس التاسع من
شعبان سنة احدى وتسعين وخمسماية واتفق في ذلك طريقة ابيه وجده فانهم
اكثر ما كانوا يصافون يوم الخميس ومعظم حركاتهم في صفر ووقع القتال وبرز
الابطال وصبرت الرجال فامر الامير يعقوب فرسان الموحدين وامراء العربان بحملوا
ففعلوا فانهزم الفرنج وعمل فيهم السيف فاستاصلهم قتلا وما نجا ملكهم الا
في نفر قليل فلولا دخول الليل لم يبق منهم احد وغنم المسلمون اموالهم حتى قيل ان الذي
حصل لبيت المال من دروعهم ستون الف درع واما الدواب على اختلاف انواعها فلم يحصر
لها عدد ولم يسمع في بلاد الاندلس بكسرة مثلها ومن عادة الموحدين انهم لا ياسرون
مشركا محاربا ان ظفروا به ولو كان ملكا عظيما بل تضرب رقابهم كثروا او قلوا فلما
اصبح جيش المسلمين اتبعوهم فالفوهم قد اخلوا قلعة رباح لما داخلهم من الرعب
فملكها الامير يعقوب وجعل فيها واليا وجيشا ولكثرة ما حصل له من الغنائم لم يمكنه
الدخول الى بلاد الفرنج في ذلك الوقت فعاد الى مدينة طليطلة وحاصرها وقاتلها
اشد قتال وقطع اشجارها وشن الغارات على بلادها واخذ من اعمالها حصونا
كثيرة وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب مبانيها وهدم اسوارها وترك الفرنج في اسوا
حال ولم يبرز اليه احد من المقاتلة ثم رجع الى اشبيلية واقام الى ثنا سنة ثلث
وتسعين فعاد الى بلاد الفرنج مرة ثالثة وفعل فيها كفعله المتقدم فلم يبق للفرنج
قدرة على لقائه وضاقت عليهم الارض بما رحبت فارسلوا اليه يلتمسون منه الصلح
فاجابهم الى ذلك لما اتصل به من افساد علي بن اسحق الميورقي المقدم ذكره في هذه الترجمة
كان قد خرج على بلاد افريقية وخرب اكثر بلادها وتوجه نحو الغرب وسولت له نفسه
النزول على بجاية لما علمه من اشتغال الامير يعقوب بجزيرة الاندلس والجهاد فيها
وتاخره عن بلاد الغرب مدة ثلاث سنين فاوقع الصلح بينه وبين ملوكهم جميعهم
على ما اختاره مدة خمس سنين ثم عاد الى مراكش في اواخر سنة ثلث وتسعين ولما وصل
اليها امر باتخاذ الاحواض والروايا وآلات السفر للتوجه الى بلاد افريقية فاجتمع
اليه مشايخ الموحدين وقالوا يا سيدنا قد طالت غيبتنا بالاندلس فمنا من له خمس
سنين ومنا من له ثلاث سنين وغير ذلك فتنعم علينا بالمهلة هذا العام وتكون
الحركة في اول سنة خمس وتسعين فاجابهم الى سؤالهم وانتقل الى مدينة سلا و
شاهد ما فيها من المستنزهات المعدة له وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)